

النقد الاجتماعي في الشعر الشامي في عصر الحروب الصليبية

الدكتور شفيق محمد الرقب

غذت الشعر الشامي في عصر الحروب الصليبية مجموعة من الروافد الشعبية التي قوت صلة هذا الشعر بالحياة العامة، واتجهت به نحو تصوير مظاهر الحياة الاجتماعية لجمهرة الشعب؛ ولعل أقوى هذه الروافد كثرة الشعراء الذين كانوا من عامة الناس، مثل: ابن منير الطرابلسي (ت ٥٤٨هـ)، وفتيان الشاغوري (ت ٦١٥هـ)، وابن عنين (ت ٦٣٠هـ)، والمسجف العسقلاني (ت ٦٣٥هـ)، وأبي جلك الحلي (ت ٧٠٠هـ)، وعين بصل (ت ٧٠٩هـ)^(١).

وقد نقل لنا هؤلاء الشعراء وغيرهم نبض المجتمع الشامي في عصر الحروب الصليبية بما تلاحق عليه من تغيرات اجتماعية، وما ألم به من تقلبات سياسية، وما اعتراه من أوبئة وكوارث طبيعية. كما تناولوا بالنقد اللاذع مظاهر الفساد الإداري والاجتماعي، وكأنهم كانوا يريدون أن يبصروا الناس بها، ويحثوا أولي الأمر على تخليصهم منها.

وستؤرس في هذا البحث ظاهرة النقد الاجتماعي، وهي ظاهرة شاعت في الشعر الشامي زمن الحروب الصليبية على نحو يسترعي النظر، لعدة أسباب من أهمها: التفاوت الكبير بين فئات المجتمع في مستوى المعيشة؛ فعلى الرغم من الإصلاحات الاجتماعية الواسعة التي أجراها الزنكيون ثم الأيوبيون، فإن النهج الإقطاعي الذي ساروا عليه قد

عمق الهوة بين العامة وأرباب الإقطاع؛ إذ يُستفاد من أخبار كثيرة أنّ عامة الشعب كانت تعاني من الإقلال وشظف العيش، وأنّه كان عليها أن تعمل في المهن اليدوية في المدن، أو في الفلاحة لدى المقطعين من الأمراء وغيرهم^(٢). وقد كانت تُفرض على هذه الفئات، على فقرها، الضرائب التي تستصفي ما لديها من أموال وزروع هي بحاجة ماسة لها، لكي تُقيم أود عيشها.

ومن الأسباب التي استدعت القول في النقد الاجتماعي جوراً بعض الحكام من السلاطين والأمراء والوزراء والعمّال، وقد ذكرت المصادر صوراً مختلفة لتعدّيات هؤلاء الحكام على الرعية^(٣)، وأوردت ضرباً متعدّدة من العقوبات التي كان يلحقها بعضهم بالناس، مثل الصّلب والتّسمير. وقد نقل أبو شامة المقدسيّ في كتابه (الدّيل على الرّوضتين) صورة مؤثّرة لغلام قتله أحد الأمراء لـ"أنّه دافع عن نفسه أمراً لم يرض وقوعه به"^(٤)، وأتبع أبو شامة الخبر بقصيدة لأحد الشعراء رثى فيها هذا الغلام، وأسّى لمصيره الفاجع.

ومن هذه الأسباب الفساد الإداري الذي أخذ يستشري في أوصال الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدّين، ولا سيّما أنّ بعض الوزراء قد انتهب فرصة الصّراع بين ورثة الملك الناصر، ليعسف بالرّعية، ويحقّق بعض المكاسب الخاصّة؛ فقد ذُكر أنّ الوزير صفّي الدّين بن شكر^(٥) كان "إذ لاح له مال عظيم احتججه .. وكان له في كلّ بلد من بلاد السلطان ضيعة أو أكثر"^(٦). وقد امتدّ هذا الفساد إلى عدد من القضاة الذين كانوا يظلمون في أحكامهم، ويستغلّون نفوذهم لجرّ الدّنيا إليهم، كما سيّتبين لنا من الحديث عن نقد القضاة.

غير أنه ينبغي ألاّ تعمّم الأحكام المستوحاة من الأسطر السابقة والأشعار اللاحقة على العصر كلّها، لأنّ ذلك مخالف للواقع ولحقائق

التاريخ، فهو كغيره من العصور فيه الخير والشر، ومن ثمّ فإنّ هذا البحث إنّما يعرض لجانب واحد، ليس غير، من جوانب الحياة آنذاك، وهو الجانب الذي يتصل بما كان الناس يتذمّرون منه ويشكونه.

وقد تنوّعت أساليب الشعراء في النّقد والإصلاح، فمنهم من آثر أسلوب النّصح والوعظ مستوحياً تعاليم الإسلام التي تحتّ الحكّام على الأخذ بدستور الشريعة في الحكم، ومنهم من كان يرفع شعره لأولي الأمر متظلماً ومستعدياً على العمّال الجائرين، ومنهم من أضفى على نقده طابع التندّر والهزل راسماً للمهجور صورة ساخرة تستثير الضحك، ومنهم من استحال النّقد لديه سباباً يداخله غير قليل من الكلمات الجارحة.

وقد تعدّدت الظواهر التي نقدها الشعراء، ومن أهمّها: الحكم، والقضاء، والكسب غير المشروع، وانهيار القيم.

أولاً - الحُكم:

كان صوتُ النّقد الموجّه إلى الحكّام في الشعر الشّاميّ في عصر الحروب الصّليبيّة جهيراً، ولم يكن هذا النّقد مجرد حشراتٍ مبهمّة على سوء الأحوال السياسيّة والاجتماعيّة، وإنّما كان نقداً صريحاً يشخص الشعراء فيه الدّاء، ويبينون أسبابه، ويدعون إلى معالجته، ويحدّثون من عواقب استفحاله، وربّما وجدت دعواتهم تلك أذاناً صاغية، فيستجيب الحكّام لها؛ من ذلك ما أورده أبو شامة في كتابه (الروضتين) من أنّ أبا عثمان المنتجب بن أبي محمّد الواسطيّ^(٧) أنشد نور الدين، وقد وفد عليه واعظاً، قصيدة حثّه فيها على إبطال المظالم من دولته، وإسقاط ما يدخل منها في شبهة الحرام، ومما ورد في القصيدة^(٨):

مَثَلٌ وَقَوْفَكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ
 إِنَّ قِيلَ نَوْرَ الدِّينِ رُحْتَ مَسْلَمًا
 أَنْهَيْتَ عَنِ شَرْبِ الخَمُورِ، وَأَنْتَ مِنْ
 عَطَّلْتَ كَاسَاتِ المَدَامِ تَعَفُّفًا
 مَاذَا تَقُولُ إِذَا نُقِلْتَ إِلَى البَلَى
 وَتَعَلَّقْتَ فِيكَ الخُصُومَ وَأَنْتَ فِي
 يَوْمِ القِيَامَةِ وَالسَّمَاءِ تَمُورُ
 فَاحْذَرِ بَأْنَ تَبْقَى وَمَا لَكَ نَوْرُ
 كَأْسِ المِظَالِمِ طَافِحِ مِخْمُورُ
 وَعَلَيْكَ كَاسَاتُ الحَرَامِ تَدُورُ
 فَرْدًا، وَجَاءَكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ!
 يَوْمِ الحِسَابِ مُسْحَبٌ مَجْرُورُ

ويمضي الفقيه الزاهد في قصيدته على هذا النحو الوعظي، بأسلوب سهل لا يخلو من ألفاظ أُغْلِظَ فيها للملك العادل نور الدين. وقد علق أبو شامة على القصيدة قائلاً: "ولعل هذه الأبيات كانت من أقوى الأسباب المحركة إلى إبطال تلك المظالم، والخلاص من تلك المآثم"^(٩).

وتجد مثل هذا الأسلوب الوعظي الذي ينقد الأوضاع ويدعو إلى الإصلاح عن طريق استثارة المشاعر الإسلامية والتخويف من عذاب الله، لدى أبي الحسن ابن زيد الشَّيْزُرِيِّ في قصيدة أرسلها إلى الوزير مجد الدين بن الدَّايَةِ^(١٠)، ولدى الفقيه شمس الدين المقدسي^(١١) في قصيدة أرسلها إلى الملك الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلِ يَحْذَرُ فيها من عاقبة الظلم، ويشكو له فساد حاشيته، ويذكرهم له واحداً واحداً، مبيِّناً أَنَّهُم قَدْ ظَلَمُوا النَّاسَ، وَنَشَرُوا الآفَاتَ، وَعَطَّلُوا أَحْكَامَ الشَّرْعِ، وَلَمْ يَعْذِرْ لَهُمْ هُمَّ إِلَّا كَسْبَ الأَمْوَالِ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ كَانَتْ. يقول^(١٢):

يَا مَالِكًا لَمْ أَجِدْ لِي مِنْ نَصِيحَتِهِ
 اسْمِعْ نَصِيحَةَ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمًا
 وَاللَّهِ لَا امْتَدَّ مَلِكٌ مَدَّ مَالِكِهِ
 تَرَى الحِصُونَ بِهِ مَسْتَبْشِرًا فَرِحًا
 وَزِيرُهُ ابْنَ غَزَالٍ وَالرَّفِيعُ لَهُ
 بَدَأَ، وَفِيهَا دَمِي أَخْشَاهُ مَنَسْفَكَ
 يَخَافُ كَفْرَانَهَا إِنْ كَفَّ أَوْ تَرَكَ
 عَلَى رَعِيَّتِهِ مِنْ ظُلْمِهِ شَدَّ بَكَ
 مَسْتَعْرِبًا مِنْ بَوَادِي أَمْرِهِ ضَيِّحًا
 قَاضِي القَضَاةِ وَوَالِي حَرَبِهِ ابْنُ بَكَ

وثعلبٌ وفُضَيْلٌ من هما، وهما
جماعةٌ بهم الآفاتُ قد نُشرت

ما راقبوا الله في سرٍّ وفي علنٍ
إن كان خيراً ورزقاً واسعاً فلهم
وإنما يرقبون النّجم والفلكا
أو كان شراً وأمرأ سيئاً فلكا

وأضفى شعراء آخرون على نقدهم مشاعر الاستهجان والدهشة من مواقف بعض الحكّام التي تخالف المعهود في سياسة الدولة الإسلامية، ومازج هذا الاستهجان غير قليل من الشعور بالنعمة؛ فقد استغرب فتیانُ الشاغوري أن يقوى نفوذ اليهود في دولة الملك الأمجد بهرام شاه، وأنكر عليه استيزاره لمهدّب الدّين السّامريّ^(١٣) الذي أكثر من استخدام أقاربه من السمرّة، فكثّر منهم العسف وأكل الأموال والفساد^(١٤)، ودعاه إلى الفتك بهم كما فتك هارون الرشيد بالبرامكة من قبل. يقول^(١٥):

الملك الأمجدُ الذي شهدت
أصبح في السّـِ امريّ معتقداً
له ملوك الزّمان بالفضلِ
ما اعتقد السّـِ امريّ في العجلِ
قبـِـل، فأين الرّشيدُ للقـِـل؟!
والسّامريّون كالبرامك من

ورفع بعض الشعراء أشعارهم إلى الملوك والسلطين يتظلمون فيها من عمّالهم الجائرين، ويستتصرونهم عليهم، ويحمّلونهم المسؤولية معهم إن لم يخلّصوهم منهم، فعندما ولّى أسدُ الدّين شيركوه^(١٦) يوسفَ بن الملاح الحلبي^(١٧) وآخر معه من بعض الضّياع الرّحبة ساءت سيرتهما فيها؛ فكتب إليه ابن النّقاش الحلبيّ^(١٨) أبياتاً صوّر فيها تبرّم النّاس بهذين الرّجلين، ونقمتهم عليهما، حتى

أوشكت هذه التّعمة أن تطال أسدَ الدين نفسه. يقول (١٩):

كم لك في الرّحبة من لائم يا أسدَ الدين ومِن لاجِ
دمرَتها من حيثُ دبّرتها برأي فلاحٍ وملاحِ

ويُلح عليه في بيتين آخرين بأن يخلّص أهل الرّحبة من جور يوسف بن الملاح. يقول (٢٠):

يا أسدَ الدّين اغتَنمَ أجْرنا وخلّص الرّحبة من يوسف
تغزو إلى الكفر، وتغزو به الـ إسلام، ما ذاك بهذا يفني

وفي سنة ٥٧٢هـ قدم أبو حسّان المعريّ (٢١) إلى السلطان صلاح الدّين في حماة، وأنشده قصيدة تظلم فيها من والي تدمر الذي أساء إليه، واستصفى أمواله، ومما ورد فيها قوله (٢٢):

أسلطان أرضِ الله الطّوّلِ والقَهْرِ حليفَ المعالي والمناقبِ والفخرِ
أفي عدلِكَ المبسوطِ، والشّرعِ حاكمٍ بمُلْكِي أقصى عنه بالدفعِ والزّجرِ
ويُطلبُ منّي فِرْوقَ ما استطيعه على فاقة من ضيقة اليدِ والعُسْرِ
ألم تُرْعَ للشّهرِ المعظّمِ حرمةً ولا لكتابِ الله أتْلوه في صدري؟!

ونزع بعض الشعراء في تعريضهم بالحكام إلى تشويه صورة المهجّو ونعته بكلّ قبيح منقر. من ذلك قول محمد بن سوّار بن إسرائيل (٢٣) يصف أحد المتولّين الجائرين، جاعلاً إياه شوماً على الرعيّة، ومصوراً المفارقة الأخلاقيّة في سلوكه، وانعكاس الأحوال في عهده (٢٤):

يا فاضح الدّين والدّنيا بسيرته وقامع العدل والإحسان والجودِ
قد ضاق ظاهر ما في الأرض منك فما بباطن الأرض ميّتٌ غير محسودِ

خَفَضَ عَلَيْكَ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ أَيْسَوْا من خضرة العيشِ في أيامك السَّودِ

وإمعاناً في الانتقاص من قدر الحكّام، أكثر الشعراء من استخدام صور الحيوانات والحشرات، ومقارنة المهجّوِّ بها، كما في قول الشاعر المعروف بالبدیع الدمشقيّ^(٢٥)، يصف أحد الحكّام بالبهيمة، فكانت النتيجة أن سجّن الشاعر^(٢٦):

حَـ _____ اكمكم بهيمَةً ليست تساوي العلفا
وليس فيه مضغَةً طيبة إلا القفا

وقد صاغ شعراء آخرون نقدهم للحكّام بأسلوب هزليّ تتبدّى فيه روح السخرية بقوة، ولعلّ أشهر أولئك الشاعر الدمشقيّ ابن عنين، الذي ثابر على هجاء الحكّام في عصره، حتّى اقتحم بأهاجيه غضبهم وإحن صدورهم. ويُستشفّ من هذا الهجاء أنّ ابن عنين كان ذا نفسٍ ثائرة قلقة متوتّبة، لا ترضى على أيّة حال، وأنّه كان مطبوعاً على ذمّ الناس وتلبّهم، وعزّز هذا الطبع أنّه رأى عيوب النّاس في عصره أكثر من محاسنهم، فأثر ألاّ يأوي إليهم، ولا يكفّ عن ذمّهم. لذا فإنّ من يقرأ هذا الهجاء يشعر أنّه يعبر عن تجربة إنسانيّة عميقة فيها قدر طاغ من حدّة الإحساس وقوّة الشّعور، كما يستبين له شاعرٌ بارعٌ قادرٌ على التصرّف في معاني النّقد وفنون الهجو. فما هو ذا يتقول على دولة صلاح الدّين، مستغلاً العيوب الجسديّة لمهجوّيه، ومبرزاً إيّاها إبرازاً مضحكاً، ومصوراً أخلاقهم وضعف نفوسهم تصويراً هزليّاً، حتّى بدت هذه الدّولة وكأنّها لا تضمّ إلاّ كلّ ذي عاهة ومفسدة. يقول^(٢٧):

سلطاننا أعرجٌ وكاتبُهُ ذو عمشٍ والوزيرُ منحذبُ
وصاحبُ الأمرِ خلقُهُ شرسُ وعارضُ الجيشِ داؤه عجبُ
والدّولعيّ الخطيبُ معتكفُ وهو على قشرِ بيضةٍ يثبُ
ولابنِ ياقا وعظُّ يغرُّ به النّيا (م) س وعبدُ اللطيفِ مُحْتَسِبُ

عُيُوبُ قَوْمٍ لَوْ أَنَّهَا جُمِعَتْ فِي فَلَكٍ مَا سَرَتْ بِهِ شُهْبُ

وقد لح ابن عنين في نقد دولة الملك الناصر صلاح الدين، فنفاه من دمشق، فهتف في وجهه قائلاً^(٢٨):

فَعَلَامَ أَبْعَدْتُمْ أَخَا ثِقَةٍ لَمْ يَجْتَرْمُ ذَنْباً وَلَا سَرْقَا
انْفُوا الْمُؤَدَّنَ مِنْ بِلَادِكُمْ إِنْ كَانَ يُنْفَى كُلُّ مَنْ صَدَقَا

وينساق ابن عنين وراء طبيعته العدوانية الهجاءة في حملته على دولة صلاح الدين، حتى ليشد في بعض أشعاره عن مشاريع الأمة الإسلامية تجاه الغزو الصليبي؛ يقول^(٢٩):

لَا كَانَ يَوْمٌ بُدِّلَتْ فِيهِ الْكِنَائِسُ بِالْمَسَاجِدِ
لَا تَفْرَحُوا بِفَتْوحِكُمْ هَذَا فَإِنَّ الدَّهْرَ رَاقِدٌ

وعندما أذن له الملك العادل بالعودة إلى دمشق، عاد إليها قوياً النفس، وهو يُنشد^(٣٠):

هَجَوْتُ الْأَكَابِرَ فِي جَلِّقٍ وَرُعْتُ الْوَضِيعَ بِهَجْوِ الرَّفِيعِ
وَأَخْرَجْتُ مِنْهَا وَلَكَتَنِي رَجَعْتُ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ الْجَمِيعِ

وواصل ابن عنين بعد أن رجع من منفاه توجيه النقد اللاذع للدولة الأيوبية، من ذلك البيتان التاليان اللذان يشجب فيهما دولة الملك العادل، متكئاً على المفارقة التي تؤكد الذم بما يشبه المدح^(٣١):

إِنَّ سُلْطَانَنَا الَّذِي نَرْتَجِيهِ وَاسِعُ الْمَالِ ضَيِّقُ الْآفَاقِ
هُوَ سَيْفٌ كَمَا يُقَالُ وَلَكِنْ قَاطِعٌ لِلرَّسُومِ وَالْأَعْنَاقِ

ويستخدم ابن عنين التورية ببراعة في نقده للأوضاع في مدينة دمشق، وما آل إليه النَّاس من حيرة واضطراب، وذلك بعد أن أخذ الملك الكامل محمد المدينة من الملك المعظم عيسى، وأعطاه الملك الأشرف موسى. يقول (٣٢):

وكذِّيا نُرجِّي بعد عيسى محمداً ليُنقذنا من لاعج الضرِّ والبلوى
فأوقعنا في تيه موسى فكأننا حيارى ولا من لديه ولا سلوى

ثانياً - القضاء:

تولَّى القضاء في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية عدد من القضاة الذين نوهت المصادر بعدلهم، مثل القضاة الشهرزوريين، والقاضي محيي الدين بن زكي الدين .. غير أن هذا الحكم لا ينسحب على القضاة جميعاً، إذ وُجد بعض القضاة الذين انحرفوا عن الجادة، وظلموا النَّاس. وقد ترددت أصداً ذلك في الشعر الشامي على نحو واضح، فقد تذرَّ أبو المجد المعري (٣٣) من ظلم بعض القضاة في عصره، وعسفهم بالرعية، حتَّى غدوا وكأنهم بلاء منزل بهم، أو نقمة مسلطة عليهم. يقول (٣٤):

تولَّى الحكم بين الناس قوم بهم نزل البلاء من السِّماءِ
كأنَّهم الدُّناب إذا تعاوت سواغبها على آثار شاءِ
يقول القائلون إذا رأوهم: لقد جار القضاء على القضاءِ

وأنفذ ابن المهنا إلى قاضي حلب أبياتاً يشكو فيها نائبه وكاتبه، ويدعوه إلى إقالتها، وتخليص الرعية منهما، بعد أن كثر منهما الفساد. يقول (٣٥):

لا عجب أن خرب الشام أو أقوت مغانيه ولا غرؤ
قد أصبح المجدُّ به حاكماً وأصبح المنشى له صنو

مولاي، محيي الدين، غيرهما عتفا فتحوي شكرنا أو

وكان القاضي الأعزّ أبو الفتح محمد بن عبدالله الميمي^(٣٦)، قاضي صور، يجعل على رأسه عمامة عليها رسوم وتصاوير مختلفة، فاتخذ ابن منير الطرابلسي من ذلك مادة للتندر به والسخرية منه، مصوراً ضالّة عقل هذا القاضي، وولعه بالمدح، وكيف أنّ الناس كانوا ينصبون عليه بالمدح الكاذب ليحفظوا عنده، ويخلص ابن منير من ذلك إلى تصوير بطلان أحكام هذا القاضي وعدم صلاحيته لمنصب القضاء. يقول^(٣٧):

مكّن الله درّتي من أعالي	سفل يدعون فيه الإمامة
كلّ فسّ ل إذا رآه تردّي	خاضعاً راعياً ذليلاً أمامه
قائلاً يا عذير حاتم الطّيا	ني في ما يولي وكعب بن مامه
يا مليح الشّباب يا أنضر النّيا	س، ويا أحسن البريّة قامه
كلّ هذا نصب على الخرب البية	ت ليفنوا خلقائهم وطعامه
وهو إذ ذاك لا يريد سوى تية	ه عليهم وسطوة وعرامه

وقد توالى على منصب قاضي القضاة في دمشق في النصف الثاني من القرن السابع الهجري عدد من القضاة الذين لم يتحرّوا العدل في أحكامهم، ومن هؤلاء أحمد بن هبة الله الملقّب بالصدر بن سنيّ الدولة، الذي كان مراعيّاً لأرباب الجاهات كثيراً^(٣٨)، فاستشهد النّجيب بن الشقيشقة "لأجل جاهه كان النّجيب متّصلاً به، وميّزه بأن جعله عاقداً للأنكحة بباب جامع دمشق، فعجب الناس منه وأنكروا ما فعله"، لأنّ النّجيب "كان مشهوراً بالكذب ورقّة الدين وغير ذلك"^(٣٩). وقد قال أحد الشعراء الشّاميّين ثلاثة أبيات أنكر فيها بشدّة على القاضي الصدر بن سنيّ الدولة أن يوليّ رجلاً موصوفاً بانحلال العقيدة والجهل بأحكام الشرع عقداً للأنكحة للمسلمين، والأبيات هي^(٤٠):

جَلَسَ الشُّقِيقَةُ الشَّقِيَّ لِيَشْهَدَا
هَلْ زُلْزَلَ الزَّلْزَالُ أَمْ قَدْ أُخْرِجَ الـ
عَجْباً لِمَحْلُولِ الْعَقِيدَةِ جَاهِلٍ
بَأَبْيَكَمَا مَاذَا عَدَا مَمَّ ا بَدَا
دَجَالُ أَمْ عُدِمَ الرَّجَالُ ذُووُ الْهُدَى
بِالشَّرْعِ قَدْ أَدْنَوْا لَهُ أَنْ يَعْقِدَا

وذكر أبو شامة المقدسي في كتابه (الدَّيْلُ عَلَى الرُّوضَتَيْنِ) أَنَّهُ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي زَمَانِهِ ثَلَاثَةَ مَشْهُورِينَ بِالْفِسْقِ وَالظُّلْمِ، هُمْ: النَّجْمُ بْنُ الصَّدْرِ سَنِيَّ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ "حَاكِمًا جَائِرًا ظَالِمًا مُتَعَدِّيًا"^(٤١)؛ وَابْنُ الْجَمَالِ الْمَصْرِيُّ الَّذِي "لَمْ تَكُنْ طَرِيقَتُهُ مَسْمُومَةً"^(٤٢)؛ وَالرَّفِيعُ الْجَبَلِيُّ الَّذِي "فَعَلَ بِالنَّاسِ الْإِفَاعِيلَ"^(٤٣)، وَقَدْ قَالَ أَبُو شَامَةَ ثَلَاثَةَ أَيْيَاتٍ حَصَرَ فِيهَا هَؤُلَاءِ الْقَضَاءَ وَنَوَابِهِمْ، مَصُورًا فِطْرَتَهُمْ، وَاسْتَشْرَاءَ شَرَّهُمْ، وَابْتِلَاءَ النَّاسِ بِهِمْ^(٤٤):

دَمَشْقُ فِي عَصْرِنَا مَعَ فَضْلِهَا بُلَيْثُ
بِأَعْجَمِيٍّ وَمَصْرِيٍّ وَصَانِعُهُمْ
ثُمَّ ضَعْفُ سِتَّةِ وَالنَّوَابِ كُلَّهُمْ
مِنَ الْقَضَاءِ بِجَهِّ الْإِلِ وَأَوْقَاحِ
وَالْأَرْبَلِيِّ خِيَّاطِ وَفَلَاحِ
ضَعْفَانِ أَحْزَانِهِمْ أَضْعَافِ أَفْرَاحِ

وَلَمَّا كَثُرَ تَعَدِّي النَّجْمِ بْنِ الصَّدْرِ بْنِ سَنِيَّ الدَّوْلَةِ عَزَلَ، وَأُرْسِلَ إِلَى مِصْرَ، وَقَدْ صَوَّرَ أَبُو شَامَةَ الْمَقْدِسِيَّ رِدُودَ الْفِعْلِ الشَّعْبِيَّةِ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ النَّاسَ بَعْزَلَ الْقَاضِيَّ وَمَغَادَرَتَهُ دَمَشْقَ، فَقَالَ: "ثُمَّ سَافَرَ الْحَاكِمُ الْمَعزُولُ إِلَى مِصْرَ تَحْتَ الْحَوِطَةِ.. وَالدَّعَاءُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ، وَالنَّظْمُ مِنْهُ شَائِعٌ، وَالدَّعَاوَى عَلَيْهِ كَثِيرَةٌ"^(٤٥)، وَقَدْ قَالَ الْعَمَادُ دَاوُدُ بْنُ الْحَمَوِيِّ^(٤٦) فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ قَصِيدَةً تَمَثَّلُ فِيهَا مَشَاعِرُ الدَّمَشْقِيِّينَ الْغَاضِبَةِ إِزَاءَ هَذَا الْقَاضِيِّ الْمَخْلُوعِ، الَّذِي فَتَقَ الشَّرْعَ، وَاحْتَالَ عَلَى الْخَلْقِ، وَبَدَّدَ الْأَمْوَالَ، مَصُورًا شِمَاتَةَ النَّاسِ بِهِ، وَكَرَاهِيَّتَهُمْ لَهُ، وَتَفَنَّنَهُمْ فِي ذَمِّهِ، وَمِمَّا وَرَدَ فِيهَا^(٤٧):

نَجْمٌ أَتَاهُ ضِيَاءُ الشَّمْسِ فَاحْتَرَقَا
نَاحِيَّتُ عَلَيْهِ اللَّيَالِي وَهِيَ شَامِتَةٌ
وَحَدِيثُهُ الْأَمَانِيُّ وَهِيَ كَاذِبَةٌ
وَرَاخٌ فِي لُجَجِ الْإِدْبَارِ قَدْ عَرِقَا
وَعَرَفْتُهُ صُرُوفَ الدَّهْرِ مَا اخْتَلَقَا
بَأَنَّهُ لَا يَرَى بَعْدَ النَّعِيمِ شَقَا

وجادَ بالمالِ كي تبقى رئاستُه وفتّق الشّرع والنّقوى وما رتقا

* * *

وأقبتُ في قلوبِ الناسِ بغضتُه لكتّهمُ قد غَدوا في ذمّةِ فرقا
وفرقةٌ بقبيحِ الظّلمِ تذكُرُه وفرقةٌ حلفتُ باللهِ قد فسقا
وفرقةٌ سلبتُه ثوبَ عصمتِه بأنّه من رباطِ الدّينِ قد مرّقا

وزاد أبو شامة من قوله:

وفرقةٌ وصفتُه بالخلاعة مَع حُبثٍ وكبرٍ وكلُّ منهمُ صدقا

وفي سنة ٦٦٣ هـ اجتمع على ولاية القضاء بدمشق، وفي زمن واحد، أربعة قضاة، وجعل كل واحد منهم قاضي القضاة لأحد المذاهب الأربعة، وقد استهجن أبو شامة المقدسي ذلك قائلاً: "وهذا شيء ما أظنه جرى في زمان سابق" (٤٨)، وكان لقب ثلاثة من القضاة شمس الدين، واتفق أن رابعهم، وهو الشافعي، استتاب من لقبه شمس الدين، فاتخذ الشعراء من ذلك مناسبة للتندر والسخرية، كما في قول أحد الظرفاء (٤٩):

أهلُ دمشق استتراوا من كثرةِ الحُكّامِ
وهمُ جميعاً شمسوس وحالهمُ في ظلامِ

وقول آخر:

أظلمَ الشّامُ وقُد وليّ الحُكْمَ شمسوسُ
ليس فيهمُ من بيتِ الـ حكمَ علماً أو يسوسُ

ثالثاً: الثروة والكسب غير المشروع:

استغرق الحديث عن هذه الظاهرة أشعاراً كثيرة، من ذلك قصيدة أرسلها ابن

منير الطرابلسي إلى رئيس حلب عفيف الدين بن المستوفي بعد أن اتصل به أنه نُفي وأن الحشوية^(٥٠) دخلوا داره لحصر ماله، وقد صبّ ابن منير على أولئك الذين دخلوا داره جاماً غضبه، ونقم عليهم نقمة شديدة، منكرًا، وبأسلوب حادّ، أن تكون له ثروة، ذاكراً أسماء بعض رجال عصره الذين تضحّمت ثرواتهم، فاضحاً الأساليب التي يتبعونها في جرّ الأموال إليهم، واختلاس أرزاق العباد؛ ومما ورد في القصيدة^(٥١):

أين وجّه الكسب الذي أنا فيه	من وجوه التجار والأعيان
اقتنوا ما اقتنيت بالشعر، في الشع	ر تذوقوا مرارة الحرمان
أتراني أكلتُ جرّ عيالي	مثل ما كان يفعل القيسراني
أم كنفتمُ الفلوس في خالد ابني	عام قادت عليه أم سنان

أم دهاني قتل الشهيد وعندي	حاصل في معرة النعمان
أم توليتُ شريك ما كان يجني	ه ابن ريدان من جذور القيان
أم أنا من جماعة نمسوا بالد	دين، حتى احتسوا دماء الدنان
كوروها جوالقات بفقه	بان فيه رباؤهم، وقُرن

وتذمّر النعمان بن وادع المعري^(٥٢) من استحواذ العمّال على أموال الناس وأملاكهم، وحرمانهم منها، وذلك إذ يقول^(٥٣):

يا أيّها المُلاك لا ترتجوا الـ	أملاك وارجوها إلى القابل
فالعالم قد صحت ولكنها	للعدل والمشرف والعامل

ويُعنف أبو الحسين علي بن يحيى المعروف بابن السّار الكاتب^(٥٤)، مستخدماً كان حريصاً على استصفاء أموال الناس زوراً وبهتاناً، مُستَهْجِناً تعديّه على حقوق الخلق، ومتوعداً إيّاه بعذاب الله. يقول^(٥٥):

هَبُّ قَدِ جَمَعَتْ أَمْلاكَ الـورى وَأَخَذَتْها بِالزُّورِ والبَهْتانِ
فَظَلَمَتْ فيها وَاَعْتَدَيْتِ تَجَرُّواً أَفْما خَشَيْتِ عَقوبَةَ الرَّحْمَنِ

وحين يَأْسَى فَتِيانُ الشَّاعُورِيَّ لِموجاتِ الغَلاءِ الَّتِي تَوالتِ عَلى بِلادِ الشَّامِ،
يَلْتَفِتُ إِلى أَوْلئِكَ الَّذينِ احْتَجَنوا الأَمْوالِ، وَسَكَبوها في دَورِهِم، بَينما تَعانِي الرِّعيَةَ
مِن الجُوعِ وَالضَّنْكَ. يَقولُ (٥٦):

هُمِ أَطْلَقُوا طَرَفَ الغَلاءِ فِجاءِنا عَن طَرَفِ رِخْصِ بِالْفِلاَةِ مَقِيِّدِ
ما بَينَ جَدبِ نَحْنُ فِيهِ وَرِخْصِهِم إِلا كغَلْوَةِ سَهْمِ رامِ جَيِّدِ

وكان ابن عَينِ مَن أَكثَرَ الشَّعراءِ إِلحاحاً عَلى تَـصْـوِـيرِ ظاهِرَةِ الكَسْبِ غيرِ
المَشروعِ، فَهو لا يَفْتأُ يَنْتَهزُ أَيَّةَ مَناسِبَةٍ لِيَبصُرَ النَّاسَ بِالَّذينِ تَمَتَّدَ أَيْدِيهِم إِلى
الأَمْوالِ العَامَّةِ؛ فَها هُوَ ذا يَغْمزُ مَتولِّيَ دارِ الزَّكاةِ في دَمَشقِ، وَيثيرُ الشُّكوكَ حَولَ
المَنزِلِ الَّذي بَناهُ (٥٧):

وَسائِقِ الصِّـبْـانِ أَضْحى ابْنَهُ يَسْرِقُ مَن دارِ الزَّكاةِ الدَّهْبِ
لا تَسأَلُـوهُ واسأَلُوا دارَهُ فَإِنَّها تَخْبِرُ عَمَّا نَهَبِ

وَيَبسِطُ ابنُ عَينِ لسانَهُ في ناظِرِ الأيْتامِ في دَمَشقِ، وَيتَّهَمُهُ في أمانَتِهِ،
وَيَصوِّرُ - ساخِراً - سَرِقتَهُ أَمْوالِ اليَتامى، حَتَّى تَحَقِّقَ الأَبْياتُ أَكْبَرَ قَدْرِ مَن التَّأثيرِ
الهِجائِيِّ، فَقدِ صاغَها ابنُ عَينِ عَلى شَـكْلِ خَبرِ يَسْتَفْتِي فِيهِ النَّاسُ في أَمْرِ ناظِرِ
الأَيْتامِ الَّذي قابَلَهُ بِالاسْتِخفافِ حينَ ذَهَبَ إِليه يَطْلُبُ مَنهُ الأَمانةَ الَّتِي أودَعها
عِنْدَهُ. يَقولُ (٥٨):

يا مَعْشَرَ النَّاسِ حالي بَينَكم عَجَبٌ وَليسَ لي بَينَكم يا قومُ أَنْصارُ
هَذا ابنُ كَاملٍ قَدِ أودَعْتُهُ ذَهَباً صُـيَّابَةً ما لَها في العَينِ مَقْدارُ

وجئتُ أطلبُها منه وقد عَرَضَتِ في السِّوقِ مَدِي لَبَانَاتٌ وَأَوْطَارُ
فَقَامَ يَنْفُضُ كَمِيهِ وَيَنْظُرُ فِي صَنْدُوقِهِ وَيُنَادِي: جَرَّهَا الْفَارُ
فَقُلْتُ: لَا شَبَّ قَرْنُ الْفَارِ كَمْ أَكَلُوا مَالَ الْيَتَامَى، وَكَمْ جَرَّوْا وَكَمْ جَارُوا

ويتهز ابن عنين فرصة أمر الملك المعظم عيسى بأن تُسلسل أبواب الجامع
الأمويّ بدمشق، فيلتمس تعليلاً آخر لذلك، ليطعن به في أمانة سدنة المسجد الذي
نهبوا أمواله. يقول (٥٩):

لَمَّا رَأَى الْجَامِعُ أَمْوَالَهُ مَأْكُولَةً مَا بَيْنَ نَوَابِهِ
جُنَّ فَمِنْ خَوْفٍ عَلَيْهِ غَدَا مُسَلَّسًا مِنْ كُلِّ أَبْوَابِهِ

ويقترب ابن عنين من الرّوح الشعبيّة اقتراباً شديداً في ألفاظه وأساليبه، حين
يهجو صاحب خزانة الملك المعظم عيسى، ويجرده من كلّ فضيلة، ولا سيّما من
الأمانة على أموال الخزانة (٦٠):

يا مالِكِ الدُّنْيَا الَّذِي أَعْظَمَ اللَّهُ بِتَأْيِيدِ عِزِّهِ سُلْطَانَهُ
أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ جَوْزَ رَقِيعٍ لِقَبْوِهِ الصَّفْعَانِ تَاجِ الْخِزَانَةِ
عَدَمَ الْعَقْلِ وَالْمَرْوَةِ وَالْإِحْ سَانَ وَالذِّينَ وَالْحَيَا وَالْأَمَانَةَ
وَحَوَى اللُّؤْمَ وَالزَّقَاعَةَ وَالْخِ سَّةَ وَالْجَهْلَ وَالْخِنَا وَالْخِيَانَةَ
زَعَمُوا أَنَّهُ حَفِيزٌ عَلَى الْمَا لِ أَمِينٌ قُلْتُ: اسْكُتِي يَا فُلَانَةَ

ونظم أبو شامة المقدسيّ قصيدة طويلة صورّ فيها فساد القائمين على أموال
الوقف في دمشق لعصره، ووجد عليهم موجدة شديدة، لأنّهم كانوا يتصرفون في
هذه الأموال على غير هدى، وينفقونها حسب أهوائهم وميولهم، ويحرمون منها
مستحقّيها من طلبية العلم؛ وممّا ورد فيها قوله (٦١):

اتَّخَذُ حِرْفَةً تَعِيشُ بِهَا يَا طَالِبَ الْعِلْمِ، إِنَّ لِلْعِلْمِ ذِكْرًا
 لَا تَهْنَهُ بِالِاتِّكَالِ عَلَى الْوَقْتِ فِ فِيْمِضِيِّ الزَّمَانِ ذَلًّا وَعَسْرًا
 إِنَّمَا تَحْصُلُ الْوَقُوفُ لِشَرِيحٍ وَنِزْلٍ مِنَ الْعُلُومِ مَبْرًا
 أَوْ لِمَنْ يَلْزِمُ الْأَكَابِرَ لَا يَبِيحُ. رَحَ فِي خِدْمَةِ وَمَ دَحٍ وَإِطْرَ
 وَالضَّعِيفَ الْمَشْغُولَ بِالْعِلْمِ يَلْقَى مِنْ وِلَاةِ الْوَقُوفِ هَجْرًا وَهَجْرًا

رابعاً - انهيار القيم:

اتَّخَذَ هَذَا النَّمَطُ مِنَ النَّقْدِ مَظْهَرَ الشَّكْوَى مِنَ النَّاسِ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، فَيَبْدُو
 الشَّاعِرُ، انْطِلَاقاً مِنْ تَجْرِبَتِهِ الذَّاتِيَّةِ، قَلْقاً مَتَأَزِماً، وَقَدْ سَرَتْ فِي نَفْسِهِ نَزْعَةٌ مِنْ
 التَّشَاؤْمِ. وَمَعَ أَنَّ لِلْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلشَّاعِرِ دَوْرًا كَبِيرًا فِي هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّقْدِ، غَيْرِ
 أَنَّهُ نَقْدٌ تَعْمِيمِيٌّ يَصَوِّرُ اضْطِرَابَ الْمَعَايِيرِ، وَانْقِلَابَ الْأَحْوَالِ، وَتَهْزَعِ الْأَخْلَاقِ،
 وَفَقْدَانَ الْأَخِ وَالصَّدِيقِ، وَشُبُوحَ النَّفَاقِ، وَتَفْشِيَّ الْفَسَادِ وَانْعِدَامَ الْأَمَلِ فِي الْإِصْلَاحِ.
 وَقَدْ كَثُرَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ فِي الشُّعْرِ الشَّامِيِّ فِي عَصْرِ الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ عَلَى
 نَحْوِ يَسْتَرَعِي النَّظَرِ، حَتَّى بَدَأَ النَّاسُ وَكَأَنَّهُمْ يَعِيشُونَ فِي مَحَنَةٍ خَلْقِيَّةٍ. وَرَبَّمَا كَانَتْ
 الْمَحَنُ وَالْأَزْمَاتُ الَّتِي تَوَالَتْ عَلَى الْبِلَادِ آنَذَاكَ هِيَ الَّتِي شَحَذَتْ هَذَا النَّزْعَ فِي
 نَفُوسِ الشُّعْرَاءِ. فَقَدْ أَلَّفَ ابْنُ سَنَانَ الْحَلَبِيِّ^(٦٢) تَصْنِيفًا سَمَّاهُ (سَلْوَةُ الْإِنْسَانِ عَنْ
 مَحَبَّةِ الْإِخْوَانِ) ضَمَّنَهُ قِطْعًا مِنْ أَشْعَارِهِ، وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ
 الشَّعَّارِ الْمَوْصِلِيُّ طَائِفَةً مِنْهَا تَصَوِّرُ تَضَجَّرَهُ، وَنَقَمَتَهُ عَلَى النَّاسِ، وَتَطْيِيرَهُ مِنْهُمْ؛
 مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ^(٦٣):

بِؤْسَاكَ يَا دَهْرَ وَالنَّعْمَاءِ وَاجِدَةً وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ عِنْدِي فِيكَ سَيَّانِ
 عَادَتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي كُلِّ ذِي ثِقَةٍ فَمَا تُخَالِلُ إِلَّا كُلَّ خَوَّانِ
 كَمْ قَدْ تَأَمَّلْتُ أَقْوَاماً فَخَلَّتْهُمْ سَادَاتِ قَوْمٍ وَمَا هُمْ غَيْرُ سَيِّدَانِ
 بِاللَّهِ أَقْسَمُ لَمْ تَظْفَرِ يَدَايَ وَلَا إِنْسَانَ عَيْنِي فِي الدُّنْيَا بِإِنْسَانِ

وتحدّث أبو الفوارس المظفر بن عمر^(٦٤) بأسى بالغٍ عن انثلام القيم في عصره، وكيف أثر ذلك في نفوس الناس، حتّى غدوا يعيشون تحت وطأة القلق والضيق^(٦٥):

وددّت بأنّ الدّهر ينظر نظرة
إلى هذه الدنيا التي تخبّطت
فيُنكر ما لا يرتضيه مُحصّلٌ
فقد أبغضت فيها الجسمَ نفوسها
بعين جلا عنها الغياية نورها
وجذّيت فساس النّياس فيها حميرها
ويأنف أن تُعرى إليه أمورها
ملاّلاً، وضاقّت بالقلوبِ صدورها

وتأمّل الحافظ أبو محمد المقدسي^(٦٦) أخلاق النّاس في عصره، وخرج من ذلك بقوله^(٦٧):

قلّ الحِفاظُ فذو العاهات محترم
كالقوس يُحفظ عمداً وهو ذو عوجٍ
والشّبهُمُ ذو الرّأي يؤذي مع سلامته
ويُببّدُ السّهْمُ قصداً لاستقامته

ويبدو الدافع الذاتيّ إلى النقد في الأبيات التالية التي يرسم فيها الحكيم عبدالمنعم الجلياني^(٦٨) السبيل إلى الحظوة عند الحكّام في زمنه. يقول^(٦٩):

قالوا ترى نفراً عند الملوك سيموا
وأنت ذو همّة في الفضلِ عاليةٍ
فقلتُ: باعوا نفوساً واشتروا ثمناً
وما لهم همّة تسمو ولا ورعٌ
فلَمْ ظمّنت وهم في الجاه قد كرعوا؟
وصنّنتُ نفسي فلم أخضع كما خضعوا

قد يُكرم القردُ إعجاباً بخستته
وقد يُهانُ لفرطِ النّخوة السُّبُعُ

وينتقد ابن الرّاهر الدمشقيّ^(٧٠) ما يراه من سيادة الجهال على النّاس، واكتسابهم للأموال، وإنفاقها على الفساد، وتديبيرهم للأمر على غير هدى وبصيرة.

يقول^(٧١):

عجبتُ لمعشرٍ في الناس سادوا فنالوا بالجهالة ما أرادوا
شروا باللؤم ذمًّا فاستفادوا ألوف المال لكن ما أفادوا
فما جادوا على حرّ ولكن على العوَاد والقوَاد جادوا

* * *

فيما تقدّم تمت دراسة الظاهرة الشعرية التي سايرت بعض مظاهر الفساد - أو ما رآه الشعراء فساداً- في المجتمع الشامي في عصر الحروب الصليبية، وكان مجال هذا الشعر هو الهجاء - في الغالب- مما فرض عليه محدودية في التنوع، إذ اتخذ معظمه أسلوب التقرّيع والتنديد، غير أنّ بعض الشعراء حاولوا أن يضيفوا على نقدهم روح التندر والسخرية معتمدين على التصوير الهزلي. ولما نجد في هذا الشعر قصائد، وإنما كان أغلبه مقطوعات قصيرة تتسم بوحدة الفكرة، وقوة العاطفة، والتلقائية في التعبير، وكأنما أراد الشعراء من هذه المقطوعات أن تحقّق في أبيات قليلة ما يرجونه من سرعة التأثير.

ومع أن قسماً كبيراً من الأشعار السابقة قد درس في سياقه التاريخي، بيد أنّه لا بدّ من القول إنّ من عدم الدقّة الاعتماد على هذه الأشعار على أنّها وثائق تاريخية تصوّر بدقّة الواقع الذي يعيشه الشعراء، لأنّ الشاعر لا يقدّم لنا الحقائق بموضوعية، وإنما يقدّمها كما يراها هو بحسبه الفني، "وسواء أقلنا بعد قراءة الشعر أنّنا نوافق الكاتب في رأيه أم لا نوافق، لأنّ الحياة في واقعها ليست كما يراها، فهذا ليس هو المهمّ، وإنما المهمّ أنّ قراءتنا لهذا الشعر تجعلنا ننظر إلى الحياة من زوايا جديدة... قد تكون أعمق وأنضج، حتّى لنحسّ، عندما نطوي آخر صفحة، أنّنا ازددنا معرفة بالحياة والإنسان"^(٧٢)، ولعلّه استبان لنا شيء من ذلك في العرض السابق.

التوثيق:

- ١- انظر ترجمة ابن منير في كتاب الخريدة - قسم الشَّام ١ : ٧٦، و ترجمة فتیان بن عليّ في المصدر السَّابق ١ : ٢٤٧ - ٢٥٩، و ترجمة ابن عنين محمد بن نصر في وفيات الأعيان ٢ : ٤٠٥ - ٤٠٨، و ترجمة ابن المسجّف العسقلانيّ عبدالرحمن بن أبي القاسم في فوات الوفيات ٢ : ٢٨٢، و ترجمة أبي جُنك أحمد بن أبي بكر الحلبيّ في المصدر السَّابق ١ : ٦٠، و ترجمة عين بصل إبراهيم بن عليّ الحرّانيّ في المصدر نفسه ١ : ٣٥.
- ٢- الكواكب الدرية: ١٧٠.
- ٣- فوات الوفيات ١ : ٤٢٧ - ٤٢٨.
- ٤- الذّيل على الرّوضتين: ١٨١.
- ٥- هو عبدالله بن عليّ بن الحسين، الصاحب صفّي الدين بن شكر، ولد سنة ٥٤٨هـ وتوفّي سنة ٦٢٢هـ. فوات الوفيات ٢ : ١٩٣.
- ٦- فوات الوفيات ٢ : ١٩٤.
- ٧- لم أهدت إلى ترجمته، وقد ذكر أبو شامة أنّه كان واعظاً له قبول عظيم. الرّوضتين ١/١ : ٢٨.
- ٨- الرّوضتين ١/١ : ٢٨.
- ٩- المصدر السَّابق ١/١ : ٢٩.
- ١٠- من رجال الدّولة النورية. الرّوضتين ٢/١ : ٥٩٦.
- ١١- هو محمد بن سعد بن عبدالله الحنبليّ المقدسيّ، توفّي سنة ٦٥٠هـ. فوات الوفيات ٣ : ٣٥٨.
- ١٢- فوات الوفيات ٣ : ٣٥٨.

- ١٣- هو مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد السامريّ، طبيب مشهور، استوزره الملك الأمجد، وكثر منه العسف والفساد. عيون الأنباء: ٧٢١.
- ١٤- المصدر السابق: ٧٢٢.
- ١٥- المصدر نفسه: ٧٢٢.
- ١٦- هو عمّ صلاح الدين، كان مقداماً مهيباً. وفيات الأعيان ٢: ٤٧٩.
- ١٧- لم أهد إلى ترجمته.
- ١٨- هو يحيى بن النقاش الحلبيّ، من شعراء الخريدة، وقد ذكره ياقوت في معجم البلدان. الخريدة - قسم الشام ٢: ٢٤٦، معجم البلدان (الرحبة).
- ١٩- الخريدة - قسم الشام ٢: ٢٤٦.
- ٢٠- المصدر السابق ٢: ٢٤٦.
- ٢١- هو أبو حسان نعمة بن حسان المعريّ، كان حياً سنة ٥٧٢هـ. الخريدة - قسم الشام ٢: ٢٣٣.
- ٢٢- الخريدة - قسم الشام ٢: ٢٣٣.
- ٢٣- هو محمّد بن سوار بن إسرائيل، ولد سنة ٦٠٣هـ، وتوفي سنة ٦٧٧هـ. فوات الوفيات ٣: ٣٨٣.
- ٢٤- تالي كتاب وفيات الأعيان: ١٤٢.
- ٢٥- هو طراد بن عليّ عبدالعزيز، أبو فراس السلميّ الدمشقي المعروف بالبديع، توفي سنة ٥٢٤هـ. تهذيب ابن عساكر ٧: ٥١.
- ٢٦- فوات الوفيات ٢: ١٣٣.

- ٢٧- ديوان ابن عنين: ٢١٠.
- ٢٨- المصدر السابق: ٩٤.
- ٢٩- نفسه: ٢٣٦.
- ٣٠- نفسه: ٩٤.
- ٣١- نفسه: ٢٣٩.
- ٣٢- نفسه: ١٣٢.
- ٣٣- هو محمّد بن عبدالله بن محمّد المعروف بأبي المجد المعري. توفي سنة ٥٢٣هـ. عيون التواريخ ١٢: ٢٠٤.
- ٣٤- الخريدة - قسم الشّام ٢: ١٢.
- ٣٥- الخريدة - قسم الشّام ٢: ٩٨. والشّاعر هو أبو محمّد بن عبدالقاهر بن المهنا، رآه العماد الأصفهاني سنة ٥٧١هـ. انظر: الخريدة - قسم الشّام ٢: ٩٨.
- ٣٦- هو القاضي الأعزّ أبو الفتح محمد بن عبدالله التميمي، قاضي صور، توفي سنة ٥٣٢هـ. تاريخ ابن القلانسي: ٤١٨.
- ٣٧- شعر ابن منير (ميكروفلم): ١٧٧.
- ٣٨- الذّيل على الرّوضتين: ٢٠١.
- ٣٩- الذّيل على الرّوضتين: ٢٠١.
- ٤٠- الذّيل على الرّوضتين: ٢٠١، ولم يذكر أبو شامة اسم الشّاعر.
- ٤١- الذّيل على الرّوضتين: ٢١٤.
- ٤٢- الذّيل على الرّوضتين: ١٤٨.
- ٤٣- فوات الوفيات ٢: ٣٥٢.

- ٤٤- الذّيل على الرّوضتين: ٢١٤.
- ٤٥- الذّيل على الرّوضتين: ٢١٤.
- ٤٦- لم أهد إلى ترجمته.
- ٤٧- الذّيل على الرّوضتين: ٢١٥.
- ٤٨- الذّيل على الرّوضتين: ٢٣٦.
- ٤٩- الذّيل على الرّوضتين: ٢٣٦.
- ٥٠- الحشريّة: هم الذين يباشرون تحصيل مال من يموت وليس له ولد. صبح
الأعشى ٣: ٤٦٠.
- ٥١- جمهرة الإسلام (ميكروفلم) ١: ٨٢.
- ٥٢- هو أبو عدّيّ النعمان بن وادع المعريّ، توفي بعد ٥٥٠هـ. الخريدة - قسم
الشّام ٢: ٤١.
- ٥٣- المصدر السّابق ٢: ٤٢.
- ٥٤- هو عليّ بن يحيى بن أحمد المعروف بابن السّالر الكاتب، ولد سنة ٥٥٢هـ.
عقود الجمان لابن الشّعار (ميكروفلم) ٥: ٢٩.
- ٥٥- المصدر السّابق ٥: ٢٩.
- ٥٦- ديوان فتيان الشّاغوريّ: ١٣١.
- ٥٧- ديوان ابن عنين: ٢٣٧.
- ٥٨- المصدر السّابق: ١٣٨.
- ٥٩- نفسه: ١٤٣.
- ٦٠- نفسه: ٢٢١.
- ٦١- الذّيل على الرّوضتين: ٢٢٢.

- ٦٢- هو عليّ بن سنان أبو الحسن الحلبيّ، المنعوت باللطيف السراج، كان رجلاً عامياً، توفي في حدود سنة ٦٠٦هـ. عقود الجمان لابن الشعار (ميكروفلم) ١٢١: ٥.
- ٦٣- عقود الجمان لابن الشعار (ميكروفلم) ١٢٢: ٥، وللاستزادة انظر الصفحة نفسها والتي بعدها.
- ٦٤- هو أبو الفوارس المظفر بن عمر بن سلمان، من شعراء الخريدة. انظر: الخريدة - قسم الشّام ٢: ٤٥٩.
- ٦٥- المصدر السابق ٢: ٤٥٩.
- ٦٦- هو الحافظ أبو محمّد عبدالخالق الدمشقيّ، مدرّس بالصّاريّة، توفي سنة ٥٦٤هـ. الخريدة - قسم الشّام ١: ٢٨٢.
- ٦٧- المصدر السابق ١: ٢٨٣.
- ٦٨- هو حكيم الزّمان أبو الفضل عبدالمنعم بن عمر الغسانيّ الأندلسيّ الجليانيّ، وفد إلى دمشق ومات فيها سنة ٦٠٢هـ. عيون الأنباء: ٦٣٠.
- ٦٩- المصدر السابق: ٦٣٤.
- ٧٠- هو أبو الحسن عليّ بن عبدالصمد الرّازيّ الأصل، ثمّ الدمشقيّ، من رجال القرن السّادس. إنسان العيون في مشاهير سادس القرون (ميكروفلم): ٢٦٦.
- ٧١- عقود الجمان لابن الشعار (ميكروفلم) ١٢٢: ٥.
- ٧٢- اللغة والأسلوب في شعر عرار، د. محمود السّمرة، مجلّة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، العدد المزدوج ٥- ٦، أيّار - كانون الأوّل، ١٩٧٩، ص ٧٠.

المصادر مرتّبة هجائياً حسب عنوان الكتاب:

أولاً- المصادر المخطوطة:

- ١- إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، مجهول، ميكروفلم رقم ١٤١٠ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربيّة، القاهرة.
- ٢- جمهرة الإسلام ذات النّشر والنّظام، مسلم بن محمود الشّيزريّ، ميكروفلم رقم ٩٢٢٣ أدب، معهد إحياء المخطوطات العربيّة، القاهرة.
- ٣- شعر ابن منير الطرابلسيّ، مخطوط رقم ٢١٠، مكتبة أمبروزيانا، وعنه شريط مصوّر في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنيّة.
- ٤- عقود الجمان من شعراء هذا الزّمان، أبو البركات مبارك بن أبي الشعّار الموصليّ، ميكروفلم رقم ٣٣٩ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربيّة، القاهرة.

ثانياً- المصادر المطبوعة:

- ٥- تاريخ دمشق، ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن أسد، تحقيق د. سهيل زكّار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣.
- ٦- تالي كتاب وفيات الأعيان، فضل الله بن أبي بكر الصقاعيّ، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٤.
- ٧- تراجم رجال القرنين السادس والسّابع المعروف بالذّيل على الرّوضتين، أبو شامة المقدسيّ، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤.
- ٨- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، الحافظ ابن عساكر، هدّبه عبدالقادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.
- ٩- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهانيّ، (قسم شعراء الشّام)،

- تحقيق د. شكري فيصل، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٥.
- ١٠- ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ط٢، ؟.
- ١١- ديوان فتيان الشاغوري، تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٦.
- ١٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس أحمد بن علي الفلقشندي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
- ١٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، تحقيق د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟.
- ١٤- عيون التواريخ، محمد بن شاعر الكتبي، تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم، وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٧.
- ١٥- فوات الوفيات، محمد بن شاعر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.
- ١٦- الكواكب الدرّية في السيرة النوريّة، تقيّ الدين أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبه، تحقيق د. محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١.
- ١٧- معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.
- ١٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلّكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

ثالثاً- الدّوريات:

- ١٩- اللغة والأسلوب في شعر عرار، د. محمود السمرة، مجلّة مجمع اللغة

العربيّة الأردنيّة، العدد المزدوج ٥ - ٦ (أيار - كانون الأوّل)، ١٩٧٩.